هذا حكاية جواب فرعون عن الكلام الذي أمر ا موسى وهارون بإبلاغه فرعون ففي الآية حذف جمل دل عليها السياق قصدا للإيجاز . والتقدير : فأتياه فقالا له ما أمرا به فقال : فمن ربكما ؟ ولذلك جاءت حكاية قول فرعون بجملة مفصول على طريقة حكاية المحاورات التي استقريناها من أسلوب القرآن وبيناها في سورة البقر' وغيرها .

ووجه فرعون الخطاب إليهما بالضمير المشترك ثم خص موسى بالإقبال عليه بالنداء لعلمه بأن موسى هو الأصل بالرسالة وأن هارون تابع له وهذا وإن لم يحتو عليه كلامهما فقد تعين أن يكون فرعون علمه من كيفية دخولهما عليه ومخاطبته ولأن موسى كان معروفا في بلاط فرعون لأنه ربيه أو ربي أبيه فله سابقة اتصال بدار فرعون كما دل عليه قوله له المحكي في آية سورة الشعراء (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) الآية . ولعل موسى هو الذي تولى الكلام وهارون بصدقه بالقول أو بالإشارة . وإضافته الرب إلى ضميرهما لأنهما قالا له (إنا رسولا ربك) .

وأعرض عن أن يقول : فمن ربي ؟ إلى قوله (فمن ربكما) إعراضا عن الاعتراف بالمربوبية ولو بحكاية قولهما لئلا يقع ذلك في سمع أتباعه وقومه فيحسبوا أنه متردد في معرفة ربه أو أنه اعترف بأن له ربا . وتولى موسى الجواب لأنه خص بالسؤال بسبب النداء له دون غيره .

وأجاب موسى بإثبات الربوبية لجميع الموجودات جريا على قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية بحيث ينتظم من مجموعهما قياس فإن فرعون من جملة الأشياء فهو داخل في عموم (كل شيء) .

و (كل شيء) مفعول أول ل (أعطى) . و (خلقه) مفعوله الثاني .

والخلق : مصدر بمعنى الإيجاد وجيء بفعل الإعطاء للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا .

ويجوز أن يكون الخلق بالمعنى الأخص وهو الخلق على شكل مخصوص فهو بمعنى الجعل أي الذي أعطى كل شيء من الموجودات شكله المختص به فكونت بذلك الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص من آثار ذلك الخلق .

ويجوز أن يكون (كل شيء) مفعولا ثانيا ل (أعطى) ومفعوله الأول (خلقه) أي أعطى خلقه ما يحتاجونه كقوله (فأخرجنا به نبات كل شيء) . فتركيب الجملة صالح للمعنيين .

والاستغراق المستفاد من (كل) عرفي أي كل شي من شأنه أن يعطاه أصناف الخلق ويناسب المعطي أو هو استغراق على قصد التوزيع بمقابلة الأشياء بالخلق مثل : ركب القوم دوابهم .

والمعنى : تأمل وانظر هل أنت أعطيت الخلق أو لا فلا شك أنه يعلم أنه ما أعطى كل شيء خلقه فإذا تأمل علم أن الرب هو الذي أفاض الوجود والنعم على الموجودات كلها فآمن به بعنوان هذه الصفة وتلك المعرفة الموصلة إلى الاعتقاد الحق .

و (ثم) للترتيب بمعنييه الزمني والرتبي أي خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله وهداهم إلى الحق بعد أن خلقهم وأفاض عليهم النعم على حد قوله تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) أي طريقي الخير والشر أي فرقنا بينهما بالدلائل الواضحة .

قال الزمخشري في الكشاف : " و در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقي الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق " .

(قال فما بال القرون الأولى [51] قال علمها عند ربي في كتب لا يضل ربى ولا ينسى [52]) والبال : كلمة دقيقة المعنى تطلق على الحال المهم ومصدره البالة بتخفيف اللام قال تعالى (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) أي حالهم . وفي الحديث (كل أمر ذي بان . .) الخ وتطلق على الرأي يقال : خطر كذا ببالي . ويقولون : ما ألقى له بالا وإيثار هذه الكلمة هنا من دقيق الخصائص البلاغية .

أراد فرعون أن يحاج موسى بما حصل للقرون الماضية الذين كانوا على ملة فرعون أي قرون أهل مصر أي ما حالهم أفتزعم أنهم اتفقوا على ضلالة . وهذه شنشنة من لا يجد حجة فيعمد إلى التشغيب بتخييل استبعاد كلام خصمه وهو في معنى قول فرعون وملئه في الآية الأخرى (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) .

A E